HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

الوضع اللغوي بالمغرب وسؤال التعدد والتجانس

د. نور الدين أواه[1]

[1] أستاذ باحث في الأدب والنقد . المغرب

تاريخ القبول: 2020/12/23م تاريخ النشر: 2021/01/01م

المستخلص

تسعى اللسانيات الاجتماعية إلى الدراسة العلمية في أوضاع المجتمعات التي تستعمل لغتين أو أكثر من لدن بعض أو كل أفرادها وفي ظل وضعية التنوع اللغوي في المغرب، أضحى موضوعاً للدراسة والبحث في هذا الفرع من اللسانيات الحديثة.

وفي هذا السياق، تسعى هذه الورقة البحثية إلى مقاربة الطبيعة اللغوية بالمغرب؛ انطلاقا من مدخلين: مدخل تاريخي ومدخل راهني وذلك لإلقاء الضوء على سياق التركيبة اللغوية المشتركة وسؤال العلاقات التي تنهجها وضعية الازدواجية اللغوية، مع هذا الوضع اللغوي التعددي بالمغرب.

1. الوضع اللغوي بالمغرب: مقاربة تاريخية:

قبل إلقاء الضوء على الوضعية اللغوية القائمة حاليا بالمغرب، قد نحتاج إلى استحضار البعد التاريخي لها. إلا أنه ليس في هذه الورقة البحثية متسع لتفصيل القول في ماضي اللغات بالمغرب وتاريخها. فقد شكل المغرب ومنذ القدم محطة لشعوب متحركة في اتجاه أراضٍ بعيدة، بل مثل مجالاً مكَّن من انفتاح أوربا على الحضارة العربية الإسلامية، ومنذ فجر تاريخه إلى تحرره من الحماية إلى الاستقلال وظل المغرب أرض عبور وملتقى لاثنيات مختلفة، تمازجت وتلاحمت، مشكلة نسيجاً إنسانيا واجتماعيا. فتنوعت بذلك عاداته وممارساته اللغوية[1].

وبذلك شكلت التعددية اللغوية، "ظاهرة مغربية بامتياز، إذ أن هذا المعطى ارتبط بالمجال المغربي منذ الفينيقيين والقرطاجيين والرومان. وظلت هذه التعددية لازمة بالنظر إلى أن المجال المغربي شهد عبر تاريخه، قبل الدعوة الإسلامية، توالي وتعايش الثقافات الغالبة والمغلوبة على السواء فوق أرضه وبين قاطنيه"[2].

والملاحظ أن الوضعية اللغوية بالمغرب تاريخيا قد عرضت تعدداً لسانيا، ومن بين ما يؤكد على ذلك ما أورده لسان الدين بين الخطيب "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"، الذي وصف المدن الأندلسية والمغربية جغرافيا واجتماعيا، كما رآها وعاصرها في منتصف القرن الثامن الهجري، إذ؛ يقول مصوراً بعض الجوانب الثقافية اللغوية في بعض مناطق المغرب في ذلك الوقت:

«قلت: فأصيلا.. فحضها من المنعة وساكنها بربري،... وآنفا خارجها كل خارج، وقانصها يجمع بين طائر دارج.. والعرب عليها في الفتن ملحة.. فأزمور ... بربري لسانهم كثير حسانهم، قليل إحسانهم، أما مدينة فاس فأحجارها طاحنة، ومخابزها شاحنة، وألسنتها بالصفات المختلفة لافتة، ومكاتبها مائجة، ورحابها متمائحة»[3].

ومن الإشارات التي التاريخية القديمة حول الوضع اللغوي بالمغرب، بروز وضعية الإزدواجية اللغوية فيه، يقول نور الدين محمد دنياجي في هذا السياق: [إن العربية قد تحركت على مستويات متعددة، في مجال الاستعما الفصيح وفي المجالات الرسمية والدينية والعلمية، وعلى المستوى العامي نعتقد أن العربية العامية في المغرب، لم تكن موحدة بالشكل الذي يسمح أن يفرض سيطرة نسق لغوي عامي على غيره، وكذلك لتنوع القبائل الوافدة إلى المغرب، وتنوع أصولها ولهجاتها من جهة، ولوجود مؤثرات مختلفة تكيف مجال تأثرها، كالأثر الأندلسي في شمال المغرب، والأثر العبد الوادي في الشرق، وأثر القبائل الأمازيغية في الوسط، إضافة إلى الأثر الصحراوي وأثر إفريقيا السوداء في الجنوب][4].

أما في العصر الحديث، فتشير بعض الوثائق إلى وجود تنوع لغوي قبل الحماية بالمغرب ويتجلى على الخصوص في:

---

[1]. ليلى محمد المسعودي، "موسوعة مذكرات في التراث المغربي"، الجزء 8، مطبعة التمبرا، مدريد، 1986، ص: 15.16.

[2]. نور الدين محمد دنياجي، "ماضي اللغات بالمغرب، أصول لتشكيل الهوية والشخصية المغربية من زاوية لغوية ضمن مستقبل اللغات"، منشورات كلية الآداب بالمحمدية، سلسلة الندوات، رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة، 2002، ص:33.

[3]. لسان الدين بن الخطيب، "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص:158.

[4]. نور الدين محمد دنياجي، مرجع سابق، ص : 33 - 35.

لهجات أمازيغية ولهجات عربية، والحسانية، واللغة العربية[5].

وفضلاً عن هذا التنوع اللغوي الوطني كان استعمال اللغات الأجنبية شائعاً، ونخص بالذكر اللغة الفرنسية واللغة الإسبانية واللغة الإنجليزية؛ «ففي سنة 1885 تم إحداث مدرسة فرنسية عربية في طنجة، وفي سنة 1908 صار عدد المدارس الفرنسية 3، وعدد المدارس الإسبانية 13»[6].

وابتداءً من سنة 1912 خلال فترة الحماية « فرضت الفرنسية كلغة رسمية للمغرب في جميع الإدارات وهيئات اتخاذ القرارات التي أرستها الإقامة العامة... ولم تكن اللغة العربية باعتبارها لغة هوية، مقررة إلا ابتداءً من الثانوي كلغة أجنبية على غرار الإنجليزية...». وعند فجر الاستقلال، كانت اللغة الفرنسية تعرف انتشاراً واسعا، بفضل المدرسة، وبفعل التعامل اليومي مع الفرنسيين. اما اللغة الإسبانية فلم يكن لها غير حضور ضعيف على الساحة نتيجة معاناة مدارسها أمام المنافسة القوية للمدارس الفرنسية[7].

وتأسيساً على ما سبق، فالبحث اللساني واللغوي يرصد وجود تعدد لغوي بالمغرب منحدر من تاريخه الطويل، وممتد إلى العصر الحديث إبان فترتي ما قبل الحماية والاحتلال الاجنبي وما بعدهما. وهكذا، إذا كانت اللهجات الأمازيغية، والعاميات العربية و الاندلسية إلى جانب اللغة العربية الفصحى. أهم ما يميز الوضع اللغوي القديم بالمغرب، فإن الوضع ذاته استمد في العصر الحديث خلال مرحلتي الاستعمار وبعد الاستقلال، مضافاً إلى الوضع اللغوي ترسيخ اللغات الأجنبية، وخصوصاً الفرنسية والإسبانية والإنجليزية.

2. الوضعية اللغوية الراهنة بالمغرب:

أفسح دستور 2011 المجال للدولة لنهج سياسة لغوية تقوم على الاعتراف بالوضعية التعددية للغات واللهجات بالمغرب، تبعاً لحضورها في كل أو بعض جهاته ومناطقه الجغرافية. ومما جاء في الفصل الخامس من الدستور "تظل العربية اللغة الرسمية للدولة، وتعمل الدولة على حمايتها وتطويرها، وتنمية استعمالها. تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيداً مشتركاً لجميع المغاربة بدون استثناء...

تعمل الدولة على صيانة الحسانية باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الهوية الثقافية المغربية الموحدة، وعلى حماية اللهجات والتعبيرات الثقافية المستعملة في المغرب، وتسهر على انسجام السياسة اللغوية والثقافية الوطنية، وعلى تعلم وإتقان اللغات الأجنبية الأكثر تداولاً في العالم، باعتبارها وسائل للتواصل، والانخراط والتفاعل مع مجمع المعرفة، والانفتاح على مختلف الثقافات..."[8]

من خلال هذا النص الدستوري، يبدو أن الدستور المغربي الجديد قد جعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة، إلا أن الجديد الذي حمل هو إضفاء صيغة اللغة الرسمية على الأمازيغية، وأشار إلى العمل على صيانة الحسانية، باعتبارها جزءًا، لا يتجزأ من الهوية

[5]. عبد الرحمان الرامي، "نظرة عن تدريس اللغات من خلال مسار الإصلاحات التعليمية بالمغرب، ضمن ندوة اللغات وتعلمها في منظومة التربية والتكوين: مقاربات استشرافية وتشجيعية"، أشغال ندوات المجلس الأعلى للتعليم بالمغرب، الرباط، 20 . 21 أكتوبر 2009، ص: 30.

[6]. نفس المرجع، ص: 30.

[7]. نفس المرجع، ص : 31.

[8]. دستور المملكة المغربية، الفصل 5، Edition EMALIV، الرباط، الطبعة 1، 2001، ص: 10 . 11.

الثقافية المغربية الموحدة، وعلى تعلم وإتقان اللغات الأجنبية الأكثر تداولاً في العالم، أوصى بها بإحداث مجلس وطني للغات والثقافة المغربية، مهمة؛ حماية وتنمية اللغات العربية والأمازيغية، ومختلف التعبيرات الثقافية المغربية.

وباقترابنا من الوضع اللغوي الواقعي، فقد عرف المشهد اللغوي بالمغرب تعدداً لغويا ملحوظاً مصحوباً بتوزيع خاص للوظائف. وفي هذا السياق تطالعنا الباحثة ليلى المسعودي في إحدى مقالاتها، حيث قدمت بطاقة تقنية بمختلف الاستعمالات الراهنة للتنوعات اللغوية بالمغرب في مجموعة من المجالات، مفصلة في الجدول الآتي[9]:

المجال	الاستعمال الكتابي	الاستعمال الشفهي
القضاء	العربية الفصحى . الفرنسية.	العربية الفصحة . العربية المغربية.
التعليم	العربية الفصحى . الفرنسية.	العربية الفصحة . الفرنسية . العامية المغربية.
الإدارة	العربية الفصحى . الفرنسية.	العربية الفصحة . الفرنسية . العامية المغربية.
الاقتصاد	الفرنسية . العربية الفصحى.	الفرنسية . العربية المغربية . (الفرنسية المغربية).
الصحافة	العربية الفصحى . الفرنسية.	العربية الفصحة . العربية المغربية . الإنجليزية . الفرنسية . الإسبانية.
الطبع والنشر	العربية الفصحى . الفرنسية.	العربية الفصحة . العربية المغربية . الإنجليزية.
الحياة العامة	العربية الفصحى.	العربية الفصحة . العربية المغربية.
الحياة الخاصة	العربية الفصحى . الفرنسية . العربية المغربية . الإنجليزية.	العربية المغربية . الإنجليزية . الفرنسية المغربية.

يتضح من معطيات هذه البطاقة التقنية، أن الطبيعة اللغوية بالمغرب ذات وجهين: رسمي وواقعي، وفيما يتبين أن التوصيف الرسمي للوضع اللغوي بالمغرب كما جاء في دستور 2011، قد تجاوز السياسة اللغوية السابقة على الأقل من الناحية النظرية، حيث يبقى على رسمية اللغة العربية للدولة، ويدعو إلى حمايتها وتطويرها، وتنمية استعمالها، ويضيف إليها رسمية الأمازيغية، ويفسح المجال لأنساق لغوية أخرى مثل العربيات اللهجية، ومن ضمنها الحسانية.

وفي هذا الإطار يرى الباحث محمد أديب السلاوي «أن الدسترة الجديدة للتنوع اللغوي بالمغرب، ليس سوى إقرار بواقع لغوي كائن في الريادة دائما وباستمرار للغة العربية بالمغرب الأقصى، على امتداد إثني عشر قرناً، فإن هذا الإقرار الدستوري يأتي في ظل مفارقات عجيبة وغريبة، يأتي في زمن يتسم بتراجع خطير لهذه اللغة في كل القطاعات الحيوية للدولة، من الاقتصاد إلى الإدارة، ومن الإعلام إلى التربية والتعليم، حيث يتم اعتماد اللغة الفرنسية كلغة أولى، على مستوى الممارسة والفعل، خارج أوفاق الدستور وخارج القيم الوطنية»[10].

[9] – Leila Messaudi, la variation langagière au Maroc, colloque : L'avenaire de la langue au Maroc, publications de la faculté des lettres édition sciences humain / Mohammedia, série colloques N°.14, 2002. P. 36.

[10]. محمد أديب السلاوي، "السياسة الثقافية في المغرب الراهن"، مطابع الرباط نت، الرباط، 2013، ص: 107 . 108.

ففي تقدير الباحث «قد فدسترة اللغة العربية، كلغة رسمية للمغرب، منذ سنة 1962 وحتى الآن، نصًّا فارغ المحتوى، لا أساس له من الصحة، ولا موقع له على أرض الواقع، وهو ما جعل الفضاء اللغوي في المغرب يحتضن بعشوائية فسيفساء (لغويا) هجيناً تتلقى فيه اللغة العربية الضربات تلو الأخرى، وبشكل مستمر، من كل صوب وكل صنف، والسؤال العريض الذي تطرحه هذه المفارقة الهجينة: هل من مبررات لهذه الحرب؟»[11].

وفي سياق ذلك، فإن الإشكالية اللغوية بالمغرب اليوم، وطبيعة النقاشات السياسية والثقافية المرتبطة بها، لم تتم الآن معالجتها بالشجاعة المطلوبة، وبالديمقراطية التي يعتمد الحوار الوطني والحوار العلمي وآلية لتسيير الاختلافات حولها.

3. الازدواجية اللغوية والتعدد اللغوي:

تتسم الوضعية اللغوية بالمغرب بتعدد لغوي . يتجلى في وجود أنواع من اللغات بشفرات مختلفة (العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية...) وفضلاً عن ذلك، تتسم هذه الوضعية بوجود لهجات وعاميات مغربية محلية متفرعة في معظمها عن اللغة العربية في نطاق ما يعرف بوضعية الإزدواجية اللغوية. وإلى جانب ذلك تحضر في المشهد اللغوي المغربي الراهن العديد من اللهجات المحلية المنحدرة أساساً من أمازيغية قديمة متمثلة في الشلحة والسوسية والريفية.

وفي خضم هذا التعدد اللغوي العام بأنساقه اللغوية واللهجية، يقع طرفا الازدواجية واللغوية المستعملة بالمغرب، حيث تشكل اللغة العربية الفصحى العريقة والعربية المعاصرة أو ما يدعوها البعض بالوسطى، والعربية المغربية بتنميطاتها النسخ المتنوعة للعربية في المغرب أصلاً وفروعاً. وعليه فإن تحديد أهم مجالات استعمال هذه التنوعات اللغوية بالمغرب وتوصيفها وفق الجدولة التالية[12]:

مجالات الاستعمال	اللغة
العائلة	لهجات بربرية . دارجة مغربية.
أصدقاء	لهجات بربرية . دارجة مغربية . فرنسية.
دين	فصحى كلاسيكية
تعليم	فصحى معاصرة . فصحى كلاسيكية . فرنسية . إنجليزية . إسبانية . .....
وسائل الاتصال الجماهيري	فصحى معاصرة . دارجة مغربية . فرنسية . لهجات بربرية.
عمل	دارجة مغربية . فرنسية.
حكومة	فصحى كلاسيكية . فصحى معاصرة . فرنسية.

انطلاقا من معطيات هذا الجدول الوصفي، تبدو وضعية الازدواجية اللغوية هي الأكثر حضوراً بالمغرب، حيث تأتي العربية الفصحى الكلاسيكية والعربية الفصحى والفصحى المعاصرة، والدارجة المغربية في المرتبة الأولى، متبوعة بالفرنسية واللهجات

[11]. محمد أديب السلاوي، مرجع سابق، ص : 107 . 108.

[12]. حسن ديدر، "الوضع السوسيولساني في العالم العربي"، ضمن ندوة مستقبل اللغات بالمغرب، منشوارت كلية الآداب بالمحمدية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2002، ص: 21.

الأمازيغية. وعلى هذا تجد التركيبة اللغوية الازدواجية بالمغرب تشيع في مجالات التواصل العائلي والصداقات فضلاً عن فضاءات التنمية والعمل، ووسائط الاتصال الجماهيري، وفي صدارتها مجال الصحافة بتنوعاتها المنطوقة والمسموعة، علاوة عن جانب من المكتوب فيها.

وفي سياق الازدواجية اللغوية، يشير علال الفاسي إلى «وجود لغتين ويقصد الفصحى والعامية، يؤدي حتما إلى وجود تفكيرين، لأن اللغة هي قوالب الأفكار، فكما أن هنالك لغة عامية يلزم أن يكون هناك تفكير عامي أو شعبي، كما يلزم أن يكون بجانب اللغة الفصحى التي هي للخاصة تفكير خاص.. وخطورة المسألة في وقوف التفكير الشعبي عند محاولة الكلام بالفصحى والتفكير بها»[13].

وفي نهاية هذه الورقة البحثية، نورد بعض الخلاصات التالية:

– اعتبار التعدد اللغوي وضع عالمي وكوني عام، لا ينسحب على لغة دون أخرى، متنوعة داخل اللغة الواحدة، أو لهجات متعددة داخل لغة واحدة.

– اعتبار الكيان اللغوي المغربي يطبعهُ الاتصال بروافد لغوية متنوعة؛ بين عربية مدرَّسة، وعربية وسيطة وعربية دارجة، واتصال لغوي بين دارجة وأمازيغية، واتصال بالفرنسية والإسبانية والإنجليزية وغيرها.. وهذا ما يعطي تنوّعاً في التركيبة الثقافية للمغرب.

– تتفرع نقاشات من مسألة الازدواجية اللغوية؛ ثقافة شعبية لسانها اللهجات المحلية أو الدارجة، وأخرى خاصة لسانها اللغة العربية.

– وجود بُعد ثقافي متعدد، يؤلو بالقضية اللغوية بالمغرب، إلى اندراجها ضمن تباين ثقافي تعبرعنه عدة لغات ولهجات، يعمِّق تساكنها أحيانا وتنافرها أحايين أخرى.

– البعد التواصلي لمسألة التعددية اللغوية بالمغرب، فهي تعبير عن حدة حساسيات ثقافية وفكرية. ولهذا يمكن اعتبار ما تتضمنه من أنساق ونوعيات لسانية هي منفردة بثقافة خاصة تنشأ عنها دلالات وممارسات اجتماعية تساهم في خلق العلاقة بين اللغة ومحيطها والناطقين بها.

البيبلوغرافية

– حسن ديدر، "الوضع السوسيولساني في العالم العربي"، ضمن ندوة مستقبل اللغات بالمغرب، منشوارت كلية الآداب بالمحمدية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2002.

– دستور المملكة المغربية، الفصل 5، Edition EMALIV، الرباط، الطبعة 1، 2001 .

[13]. علال الفاسي، "من أجل تفاعل لغوي"، مطبعة الرسالة، الرباط، ط 1، 2005، ص: 75.

- عبد الرحمان الرامي، "نظرة عن تدريس اللغات من خلال مسار الإصلاحات التعليمية بالمغرب، ضمن ندوة اللغات وتعلمها في منظومة التربية والتكوين: مقاربات استشرافية وتشجيعية"، أشغال ندوات المجلس الأعلى للتعليم بالمغرب، الرباط، 20 . 21 أكتوبر 2009.
- علال الفاسي، "من أجل تفاعل لغوي"، مطبعة الرسالة، الرباط، ط 1، 2005.
- لسان الدين بن الخطيب، "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- ليلى محمد المسعودي، "موسوعة مذكرات في التراث المغربي"، الجزء 8، مطبعة التمبرا، مدريد، 1986.
- محمد أديب السلاوي، "السياسة الثقافية في المغرب الراهن"، مطابع الرباط نت، الرباط، 2013.
- نور الدين محمد دنياجي، "ماضي اللغات بالمغرب، أصول لتشكيل الهوية والشخصية المغربية من زاوية لغوية ضمن مستقبل اللغات"، منشورات كلية الآداب بالمحمدية، سلسلة الندوات، رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة، 2002.
- Leila Messaudi, la variation langagière au Maroc, colloque : L'avenaire de la langue au Maroc, publications de la faculté des lettres édition sciences humain / Mohammedia, série colloques N°.14, 2002. P. 36 .
- مواقع إلكترونية:
  - http://ar. wikipedia.org
  - http://www.csesrs.ma